في ظلال الأمثال

اثر: دکتر سید خلیل باستان

استادیار دانشکدهٔ الهیات دانشگاه شهید چمران اهواز

(ص ۱۷۳ - ۱۸۸)

الحمد اللّه ربّ العالمین، والصلاة والسلام علی النبیّ الکریم وآله الطاهرین

چکیده

در سایهٔ ضرب المثلها

بی‌شک ضرب المثلها دامنهٔ بزرگ از زندگانی بشر را پر کرده است، بنابراین بنظر نگارنده برای آنها ارزشی فراوان وجود دارد، که از شعر کمتر نیست، چه نزد ملل مختلف و چه نزد خواص، و اگر ادعا کنیم که جایگاه ضرب‌المثلها در مرتبه دوم بعد از شعر قرار گرفته است، گزاف نگفته‌ایم.

برای دسترسی به ماهیت ضرب‌المثلها و شناخت انواع آنها به مطالب زیر پرداخته شده: تعریف ضرب‌المثل از نظر لغت و اصطلاح، معانی گوناگون دامنهٔ ضرب المثلها، نقش قرآن کریم و رسول عظیم(ص) و امیر سخن علی (ع) و ادیبان در ضرب‌المثلها، بیان نظرات ابن ابی الحدید در این باره، و مطالب دیگر.

واژه‌های کلیدی: ضرب‌المثل، دیدگاهها، کاربرد، فواید و شرایط، ابن ابی الحدید و ضرب المثل.

المقدمه:

ممّا لاشک فیه إنّ الامثال کانت و ماتزال تشغل حیّزاً کبیراً من حیاة البشر، و بناءاً علی هذا إنّنا نری لها قیمة عظیمة لیست بأقلّ من الشعر لدی جمیع الامم بصورة عامة، ولدی الادباء بصورة خاصة، وبالأحریٰ نتمکن ان نقول غیر مبالغین بانّها تأتی فی‌المرحلة الثانیة بعد الشعر.

و مِن أجل الوقوف علی ماهیة الامثال و التعرف علی أقسامها تعرضنا للبحوث التالیة: تعریف المثل لغة و اصطلاحاً، معانی المثل، مساحة الامثال، دور القرآن الکریم و الرسول العظیم(ص) و امیر الخطباء علی (ع) والادباء فی الامثال، ثم بیان رأی ابن ابی الحدید فی ضرب الامثال، و بحوث اُخری.

*****

امّا بعد:

علینا قبل الخوض فی البحث اَن نتعرف علی معنی المثل لغة و اصطلاحاً:

۱ـ المثل فی اللغة، اصلُ المثول: الانتصاب، والمُمثّل: المصوّر علی مثال غیره، یقال مثّل الشیء أی انتصب و تصوّر، و منه قوله(ص): «مَنْ أحبَّ أن یُمثّل له الرجال فلیتبوا مقعده من النار».

۲ـ المثل فی الاصطلاح: عبارة عن قول فی شیء یشبه قولاً فی شیء آخر بینهما مشابهة لیبّین احد هما الآخر، و یصورّه نحو قولهم : الصیف ضعیتِ اللبن (کذاذکرة النویری ص ۱۳، ج۳)، فانِ هذا القول یشبه قولک: أهملت وقت الامکان أمرک.(المفردات، الراغب الاصفهانی، ص ۴۶۲)

هذا و للمثل معانی مختلفة استعملهاالقرآن الکریم کما ذکرها الفقیه الدامغانی فی کتابه حیث یقول للمثل اربعة معانی:

۱ـ المثل: السنن، کقوله تعالی فی سورة البقرة: (۲۱۴) «و لما یأتکم مثل الذین خلوا» یعنی سنن الذین خلوا.

۲ـ المثل: العبرة، کقوله تعالی فی سورة الزخرف: (۵۶) «فجعلناهم سلفاً و مثلاً

للآخرين» يعنى عبرة ...

۳ـ المثل: الصفة كقوله تعالى فى سورة الفتح: (۲۹) «ذلک مثلهم فـى التـوراة و مثلهم فى الانجيل» يعنى صفتهم ...

۴ـ المثل : العذاب، كقوله تعالى فى سورة ابراهـيم (الآيـة ۴۵): (وضـربنا لكـم الأمثال)، يعنى وضعنا لكم العذاب (قاموس القرآن، الدامغانى، ص ۴۲۸، و لقد جاء شرح مفصل فى التاج، ص ۱۱، ج ۸، فليراجع)

۵ـ وأرى له معنى آخر و هوالضِعفُ، حيث يقول تعالٰى فى سورة الانعام الآيـة ۱۶۰: (من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها)، يعنى أضحافها.

الفرق بين المثل و ما يقاربه من معانى:

۱ـ النِدّ، يقال فيما يشارک فى الجوهر فقط.

۲ـ والشبه، يقال فيما يشارک فى الكيفية فقط.

۳ـ المساوى، يقال فيما يشارک فى الكميّة فقط.

۴ـ والشكل، يقال فيما يشارک فى القدر و المسافة فقط.

۵ـ والمثل عام فى جميع ذلک، ولهذا لما أراد اللّه تعالى نفى التشبيه من كل وجه خصّه بالذكر فقال: ليس كمثله شىء.(المفردات، الراغب الاصفهانى، ص ۴۶۲، وجاء فى الفروق لأبى هلال العسكرى، ص ۱۲۵، بحثاً مشبعاً فى هذا المجال فعلى الطالب ان يراجع)

مساحة الأمثال:

الأمثال تشغل مساحة كبيرة فى حقول العلم والأدب والمعرفة. ولقد استخدمها اللّه سبحانه فى كتابه العزيز، وجعلها خاصة لذاته الكريم، حيث يقول: (ويضرب اللّه الامثال للناس) ابراهيم: ۲۵، ثم نهاهم ان يضربوا له الامثال بقوله عزّ و جلّ: (فـلا تضربوا للّه الأمثال) (النمل: ۷۴).

و منحها اللّه مقاماً شريفاً عالياً لأنه جعلها خاصة لأشرف مخلوقاته حيث يقول لما

خلق البشر: (فتبارک اللّه أحسن الخالقین) (المؤمنون : ۱۴)، و جعل لها أهدافاً سامیة تسیر وفق محاور تالیة:

اولاً : التذکیر: حیث یقول: (ویضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم یتذکرون) (ابراهیم : ۲۵)

ثانیاً: التعقل: حیث یقول: (وتلک الأمثال نضربها للناس و ما یعقلها إلاّ العالمون) (العنکبوت: ۴۳)

ثالثاً: التفکر : حیث یقول: (تلک الأمثال نضربها للناس لعلهم یتفکرون) (الحشر: ۲۱)

والرسول الاعظم(ص) الذی لا ینطق عن الهوی جعلها نبراساً لبیانه، واتخذها امیر البیان والکلام الامام علی بن أبی طالب(ع) ترساً لفصاحته و بلاغته.

هذا و قد استعملها الصغیر والکبیر والرجل و المرأة و عوام الناس و خواصهم و جعلوهانصب أعینهم، لأنها أقرب الی الاذهان و هی أذکی للفهم مقتبسة من الناس و تتخذ قلوبهم سکناًلها و تجری علی السنتهم لیل نهار، و انّک قلمّا تجد امّة تخلت عنها، ولربما یحصل الباحث فی الامثال علی کثیر من الوجوه المشترکة بالمفاهیم و المعانی بین اللغات المختلفة والجنسیات المتنوعة فی العالم.

و من جهة اخری هی محط رحال الامم الغابرة و الحاضرة من أهل العلم والأدب فهی سارية المفعول علی ألسنة الشعراء والأدباء والخطباء وقلّما نجد أحداً منهم ترکها، و انّک لتجد نماذج کثیرة فی طیات الکتب والادب، منها شرح نهج‌البلاغة لابن أبی الحدید حیث جعلها من أُسس شرحه و بنیانه، و ما من خطیب إلاّ و جعلها عماداً لخطابته کأمیر المؤمنین علی (ع)، و ما من معلم إلاّ وجعلها أساساً لعلمه و بحثه، و ما من الناس إلاّ و جعلها غرضاً لأهدافه و رمیة لسهامه فالکلُّ یشرب من معینها، ویرتوی من عذب مائها، و یتغذی من حلاة عسلها إذهی أزکی طعاماً و أفضل کلاماً ما بقی الزمان و المکان.

من خصائص ألامثال:

إنها، بسيطة المعانی، جزلة الالفاظ، سهلة الاسلوب و البيان، مفهومة العبارات، عادةً تحتوی علی جمل قصار، يسهل حفظها للسامع و للمرة الاولی، تصاب بها الاغراض والاهداف فوراً.

موضوعاتها:

تشمل جميع مناحی الحياة من اقتصادية و سياسية و علمية و ثقافية و اجتماعية و صناعية وزراعية و خاصة الحياة اليومة للبشر، فهی حياة الناس و معهم تجری كجری الدم فی العروق فهی تأتی طبقاً لمرام الشعب نابعة من خصالهم و أخلاقهم و عاداتهم و تقاليدهم، و لهذا تسعیٰ الأمم عرباً و عجماً للحفاظ عليها و العناية بها، لأنّها تحمل صبغة مِن ثقافتها و مدينتها.

و هی من جهة أخریٰ تختصّ بانباء البشر دون سواهم، وهی عامة حيث تشمل جميع مناحی الحياة يقول البارئ تعالی: (ولقد صرفنا للناس فی هذا القرآن من كل مثل)(الاسراء: ۸۹).

و هی تتحمل مسؤولية كبری و بكل قوة و اقتدار حيث تحملت مفهوم الذات للبارىء الجليل حينما عجزت عنها الكلمات الاخری و جعلتها راسية فی اذهان الناس يقول تعالیٰ: (ليس كمثله شیء) و قال جلّ شأنه فی موضع آخر: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فی زجاجة) (النور: ۳۵).

ثم انها احتوت من المعانی المبينة للضعف و عدم القدرة حيث يقول جلّ شأنه: (مثل الذين اتخذوا من دون اللّه أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً)(العنكبوت: ۴۱). و قال فی موضع آخر: (ان اللّه لايستحی أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)(البقرة: ۲۶) وكذلک لها القدرة الكبيرة لتحملها المعانی المتضادة حيث يقول عزّ و جلّ: (ألم تركيف ضرب اللّه مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة ... و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ....) (ابراهيم: ۲۵و۲۶)

الامثال القرآنية

فهی منتشرة فی ربوع آیات الذکر الحکیم، تنهال کأمطار الربیع علی قلوب المسلمین ترشدهم الی الصراط القویم، حاویة المثل الأعلی مشعة الطریق للسائرین فی ظل التفکیر، فهی تنقسم الی قسمین من زاویتین مختلفتین:

أولاً: من حیث الطول و القصر، فهی أیضاً علی نوعین:

۱ـ امثال قصیرة، مثل قوله تعالی: (کمثل الحمار یحمل اسفاراً) (الجمعة: ۵).

۲ـ أمثال طویلة، مثل قوله تعالی: (ضرب اللّه مثلاً للذین کفروا امرأة نوح و امرأة لوط) (التحریم: ۱۰).(العمدة، لابن رشیق، ج ۱، ص ۲۸۰)

ثانیاً: من حیث الظاهر و الباطن فهی أیضاً تنقسم الی قسمین:

۱ـ أمثال ظاهرة :کقوله تعالی فی تمثیل الحکمة (ألم ترکیف ضرب اللّه کلمة طیبة کشجرة طیّبة أصلها ثابت و فرعها فی السماء تؤتی أُکلها کل حین بإذن ربّها، و یضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم یتذکرون، و مثل کلمة خبیثة کشجرة خبیثة اُجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) (ابراهیم: ۲۴).

۲ـ امثال کامنة، فهی الآداب البارعة، والحکم الباهرة، فمن ذلک قوله تعالی فی الصدق: (هذا یوم ینفع الصادقین صدقهم) (المائده: ۱۱۹)، و قوله تعالی: (انّه کان صادق الوعد) (مریم: ۵۴).(جواهر الادب، احمد الهاشمی، ج ۱، ص ۲۲۸، و جاء هذا التقسیم فی الاتقان أیضا، ج ۲، ص ۱۶۷)

رأی العلماء فی الامثال القرآنية

قال الماوردی: من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس فی غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال و اغفالهم المثلات، والمثل بلا ممثل کالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام ... .

وعدّه الشافعی، مما یجب علی المجتهد معرفته من علوم القرآن الامثال فقال: ثم معرفة ماضرب فیه من الامثال الدوال علی طاعته المبنیة لاجتناب نواهیه ... .

و تأتی أمثال القرآن مشتملة علی بیان بتفاوت الأجر، و علی المدح و الذم و علی

الثواب والعقاب، و على تفخيم الامر أوتحقيره و على تحقيق امر أوابطاله. (الاتقان، السيوطى، ج ۲، ص ۱۶۷)

الرسول الأكرم (ص) والأمثال

لقد جاءت الامثال على لسان أفصح من نطق بالضاد رئيس بيت‌الوحى والمعلم الكبير للقرآن، ناشر الاسلام فى ربوع الاوطان، كريم قريش، أبلغ الفصحاء، النبىّ محمد (ص)، فهى أشهر من أن تذكر و أوضح من الشمس فى رابعة النهار، جاءت امثاله منتشرة بين الفقهاء والحكماء والادباء والشعراء وامتلأت بها ركبان الكتب لاصحاب البيان و من امثاله (ص) المشهورة:

۱ـ «كل الصيد فى جوف الفرا» قاله لأبى سفيان بن حرب حين أسلم.

۲ـ إيّاكم و خضراء الدمن، قيل و ما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء. (العقد الفريد، ابن عبد ربّه، ج ۳، ص ۴)

۳ـ قال فى فرس: وجدته بحراً.

۴ـ قال (ص): لايلدغ المؤمن من جحر مرتين.

۵ـ قال (ص): الحرب خدعة.

والى أمثالها الآلاف من فصيح الكلام و بليغه.

أميرالمؤمنين على (ع) والأمثال

تجلّت الأمثال فى كلام أميرالبيان و أفصح الخطباء على (ع) فى نهج‌البلاغة إذهو وليد الفرقان و تلميذ النبوة، فمشرب كلامه الآيات البيّنات من القرآن الكريم و النبىّ العظيم (ص)، فساحجازه و اعجازه فى الكلام قرآنى و بلاغته نبوىّ تراه يقول فى الأمثال متعجباً «فيالها امثالاً صائبة» (خ: ۳)، ثم يوصى بهاالمتقين قائلاً: «اوصيكم عباداللّه بتقوى‌اللّه الذى ضرب الأمثال» (خ: ۷) ثم يستعين بها فى بيان مراميه العالية خلال خطبه الحكمية حيث يقول (ع): «و ضربتُ الأمثال لكم».

الأدباء والشعراء والأمثال

و اما سائر الناس من الادباء والفصحاء، فلم يكن لهم بُدٌّ إلاّالسير قُدماً على نهج الامثال القرآنية النبويّة العلويّة، لأنّها من أفضل الأمثال و أروعها لقد تروّى الشعراء و الأدباء من منهلها العذب و مصدرها الصافى «و خير دليل على ذلک ماكتبه ابن أبى الحديد فى شرحه»، و الآن نذكر بعض الا مثال التى جاءت على ألسنة الشعراء:

قال علقمة:

و قد وعدتک موعداً فلو وفت به كموعد عرقوب أخاه بيثرب

و قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً و ما مواعيدها ألاّالاباطيل

و من الشعراء الذين جاء فى شعرهم ثلاثة أمثال قول زهير: (العمدة: ابن شيق، ج ۱، ص ۲۸۳)

و فى الحلم اذعان و فى العقوبة دربة و فى الصدق منجاة من الشر فاصدق

فأتى بكل مثل فى ربع بيت، ثم جعل الربع الآخر زيادة فى شرح معنى ماقبله، و كذلک قول النابغة الذبيانى:

الرفق يمن والاناة سلامة فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

فجاء بثلاثة امثال إلاّ إنّها متداخلة لم تكن كالا مثال التى جاءت فى شعر زهير.

و اما النثر فيكفينا مما جاء فى مجمع الامثال للميدانى و نهاية الارب للنويرى و غيرها من الكتب فنضرب عنها الحديث صفحاً لما فيها من البيان الأوفى.

العلوم والامثال

و أظن انّ هناک نوعاً آخر من الامثال لم يتطرق اليها العلماء و لم يلمح لها أصحاب الفن فى كتبهم، ألا و هى الامثال السائرة فى العلوم المختلفة و المشتهرة على ألسن العلماء، و فى بحوثهم الخاصة، سواءً فى النحو أو الصرف أو الفقه أو الاصول أو التفسير أو الكلام أوالبلاغة أو غيرها، فعلى سبيل المثال يقال فى الفقه:

کلّ شیء لک طاهر حتی تعلم بنجاسته (هذه قاعدة عامة فی باب الطهارة و لکنها تستعمل عند الشکوک). أو قولهم: «أذا وجد الماء بطل التیمم». یضرب لکلّ شیء کان اصلاً و مازال، أو قولهم: لا صلاة لمن جاره المسجد، یضرب لمن یتهاون فی الامور)، و ا مثالها کثیرة.

و أنک لتجد مایشبه هذا الکلام فی علم البلاغة و تحت موضوع الاطناب و لقد اشتهر البیت التالی فی کتب البلاغة، قال ابن محلم:

ان الثمانین و بلغتها قد أحوجت سمعی الی ترجمان

و من أمثال هذا الکلام کثیر و لسنافی مقام الاحصاء.

استعمال الامثال

و هی تجری بلفظ واحدکما وردت و صدرت عن قائلیها، بلا تغییر و تبدیل للمخاطب والغائب والمذکر المؤنث والمفرد و الجمع. حیث تؤثر فی النفوس کثیراً و تشمر عن السواعد للخائفین کما یقول المثل المعروف: لج لخوف تأمن.

فهی امام البلاغة و قائد البیان فی لجج البحار الغامرة، والثورة فی الکلام کما قال ابن المقفع: اذا جعل الکلام مثلاً کان أوضح للمنطق و آنق للسمع و أوسع لشعوب الحدیث.(نهایةالارب، النویری، ج ۳، ص ۲)

فوائد الأمثال و نتائجها

(لها فوائد جمة فذکر منها مایلی:)

۱ـ نزهة البال ترویج الخاطر، کما قال امیر البیان الامام علی (ع): «إن هذه القلوب تملّ فابتغوا لها طرائف الحکم».

۲ـ استقصاء الحکم قدیمها و حدیثها. (جواهرالادب، ج ۱، ص ۲۸۸)

و أما نتائجها للمجتمع البشری فکثیرة منها:

۱ـ هی مرآة صیقلة للمواعظ والعبر.

۲ـ هی مقیاس لرقیّ الامم و تقدم الاخلاق السامیة.
۳ـ هی مجموعة نفیسة و ذخیرة من السلف الصالح.
۴ـ هی تجارب الامم و عقول الرجال.
۵ـ هی الخوض فی معانی جیدة کمایقول المثل: لج الخوف تأمن.
۶ـ اظهار المحاسن الحمیدة کما یقول المثل: الضد یظهر حسنه الضد.

شروط الأمثال

الشروط اربعة وهی:
۱ـ ان تکون روائیة خالیة من کل تعقید لیفضی المقصود منها الی ذهن السامع.
۲ـ ان لایکون المثل مسهباً مخلاً.
۳ـ ان یُبهج السامع بتلاوته و یفکه فکرته بهزل کلامه و ابتکار معانیه، و یضبط عقله فی فهم الروایة المختلفة و فضّ شکلها.
۴ـ ان یورد بصورة محتملة.(و قیل فسمان، حقیقة (واقعیة)، و فرضیة (علی السنة الحیوانات))
و قال ابراهیم النظام : یجتمع فی المثل اربع لاتجتمع فی غیره من الکلام، ایجاز اللفظ و اصابة المعنی و حسن التشبیه، وجودة الکنایة، فهو نهایة البلاغة.(نهایةالادب، النویری ج ۳: ۲)

انواع الامثال

والکلام فیه علی رأیین:
الرأی الاول: (حیث بقسمها الی)، مفترضة ممکنة، مخترعة مستحیلة، مختلطة.
۱ـ الامثال المفترضة الممکنة: هی ما نسب فیها النطق والعمل الی عاقل.
۲ـ المخترعة المستحیلة: ما جاءت علی ألسنة الحیوانات والجمادات فیغری لها النطق والعمل الارشاد الانسان.
۳ـ المختلطة: ما دار فیها الکلام أو العمل بین الناطق و غیر الناطق. (جواهر الادب، ج

۱، ص ۲۸۸)

الرأی الثانی: لابن أبی الحدید فانه قسمها الی انواع أخری استقصیناها من خلال شرحه لنهج البلاغة فهی:

الأمثال الحکمیة، ۲ـ الطفیلیة، ۳ـ العامیة، ۴ـ الخلقیة، ۵ـ المرموزة(قال ابن أبی الحدید فی ج ۱۸، ص ۲۸۱: یقولون فی الامثال المرموزة، لقی موسی و هو ضاحک مستبشر عیس و هو کالح قاطب، فقال عیسی، مالک فانک آمن عذاب اللّه، فقال موسی (ع) ...)، ۶ـ التمثیلیة.(یقصد ماجاءت علی ألسنة الحیوانات)

ان المتتبع لهذین الرأیین یجد الامثال التی تجری علی ألسنة الحیوانات مشترکة فیما بینها و متفق علیها، فأفضل نموذج لها کتاب کلیلة و دمنة الذی اشتهر فی الآفاق قدیماً و حدیثاً و لازال حیّاً بعد مضی سنین عدیدة، و امثاله سائرة علی ألسن (البهائم و الطیر لیکون ظاهره لهواً للخواص و العوام، و باطنه ریاضةً لعقول الخاصة).

(کلیلة و دمنة، ص ۳، و ص ۸۳)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

وقفه مع کلیلة و دمنة

للکتاب أغراض أربعة و هی:

۱ـ ما قصد فیه الی وضعه علی ألسنة البهائم...

۲ـ اظهار خیالات الحیوانات بصنوف الاصباغ والإلوان لیکون انساً لقلوب الملوک.

۳ـ ان یکون علی هذه الصفة فیتخذه الملوک والسوقة....

۴ـ وهو الاقصی و مختص بالفیلسوف... (أیضاً، و ص ۸۳)

ثم لابدّللقارىء ان یراعی الشروط التالیة:

۱ـ ینبغی لمن قرأ هذا الکتاب أن یعرف الوجوه التی وضعت لهُ والی أی غایة جری مؤلفه فیه عند ما نسبه الی البهائم و اضافه الی غیر مفصح و غیر ذلک من الاوضاع التی جعلها امثالاً فإن قارئه متی لم یفعل ذلک لم یدر ماأُرید بتلک المعانی

ولا أیّ ثمرة یجتنی منها و لا أیّ نتیجة یحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الکتاب.

۲ـ وقد ینبغی للناظر فی کتابنا هذا أن لاتکون غایته التصفح لتزاویقه بل یشرف علی ما یتضمن من الامثال حتی یأتی علی آخره و یقف عند کلّ مثل وکلمة فیعمل فیها رویته.

۳ـ یجب علی قارىء هذا الکتاب أن یدیم النظر فیه من غیر ضجر و یلتمس جواهر معانیه ولا یظن ان نتیجته الاخبار عن حیلة بهیمتین أو محاورة سبع لثور فینصرف بذلک عن الغرض المقصود... (ایضاً ص ۶۶، ۷۹، ۸۲)

الامثال والاستعارة التمثیلیة

سمیت بذلک لعظم شأنها، و کأن لیس فی غیرها تمثیل اصلاً، وهی أبلغُ من الاستعارة، و هی غرض البلغاء و ان فشت الاستعارة التمثیلة و شاعت و کثراستعمالها تکون مثلاً لایغیر مطلقاً.(جواهر البلاغة، ص ۳۳۳)

ثم اعلم ا ن مما اتفق العقلاء علیه ان التمثیل اذا جاء فی اعقاب المعانی أو برزت هی باختصار فی معرضه، و نقلت عن صورها الاصیلة الی صورته، کساها ابهة و منقبة و رفع من اقدارها، و شب من نارها، و ضاعف قواها فی تحریک النفوس لها و دعا القلوب الیها، و استنار لها من أقاصی الافئدة صبابة وکلفاً، و قسر الطباع علی أن یطیعها محبة و شغفاً. (اسرار البلاغة، ص ۹۲)

ثم إذاکانت و عظاًکان أشفی للصدور، وأدعی الی الفکر، وأبلغ فی التنبیه والزجر و أجدر بأن یجلی الغیایه (کل ما أظلک من فوق رأسک)، و یبصر الغایة، و یبرىء العلیل و یشفی الغلیل. (اسرار البلاغة، ص ۹۵)

ابن ابی الحدید و الأمثال

ممّا لاشک فیه أن ادیباًکابن أبی الحدید الذی امتلک ذوقاً فنیاً رفیعاً لایمکن ان یغفل عن اهمیة الامثال فی الکلام، والاستناد الیها فی الشرح والبیان، مستعیناً بها فی

حلّ معضلات الكلمة و الكلام، حيث قام بنشر الروائح الزكية والعطور العنبرية بواسطة امثاله العلية، فأحيى بها شرحه و اسكت بها اعداءه، و كسا الكلام حلّة جميلة، وقلّد الكتابة بلاغة واضحة، فالامثال المستفادة فی شرحه هی كالمزن التی تحيی الارض بعد موتها، وتراه ينهج سبيل أميرالمؤمنين(ع) فی خطاباته و بيانه، متأثراً باسلوبه و كلامه.

ثم أن اسلوب ابن أبی الحديد فی الامثال عند شرحه لنهج البلاغة ينقسم الی قسمين:

القسم الاول: الامثال التی يشرح بها المفردات و نذكر بعضها فيها يلی:

۱ـ الانوق، قوله(ع) : تقصر دونها الانوق (ر: ۶۵)، علی فعول بالفتح كاكول و شروب، و هو طائر واسمه الرخمة، و فی المثل: أعزّ من بيض الانوق، لأنّها تحرزه ولا يكاد أحد يظفر به وذلک لأن اوكارها فی رؤوس الجبال و الأماكن البعيدة التی يصعب الوصول اليها.

۲ـ بدايا، قوله (ع): بدايا خلائق احكم صُنعها (خ: ۹۱) و بداياها هنا جمع بديه، و هی الحالة العجيبة، فنقول أبدأ الرجال إذا جاء بالامر البديء أی المعجب، والبدية أيضاً الحالة المبتدأة المبتكرة و منه قولهم (فعله بادیء) و بديء علی و زن فعيل أی أول كلّ شیء.

۳ـ باء قوله (ع): والعقاب بواء(خ: ۱۴۴) وقد باء الرجل بصاحبه أی قتل به، و فی المثل باءت عرار بكحل و هی بقرتان فتلت احداهما بالاخری.

۴ـ الحما، قوله (ع): وانها للفئة الباغية فيها الحما و الحُمةُ(خ: ۱۳۷)، و من امثالهم: ثاطة مدت بماء، يضرب للرجل يشتد موته و جهله، والثاطة الحمأة، و إذا أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبةً.

القسم الثانی: الامثال الوارده لشرح الجمل:

یجدر بنا هنا ان نشیر الی الخصائص الفنیة التالیة التی اتخذها ابن ابی الحدید فی شرحه للامثال هذه سواءً کانت فی کلام الامام علی (ع) و خاصة فی الکتاب رقم واحد و ثلاثین، أو الامثال التی جاءت باعتبارها شواهد فی شرحه کما یلی:

۱ـ شرح الکلام بالامثال، لیکون فی التبیان وضوح و جمال و فوائد فی المعانی، و من ثم یشرح الامثال نفسها لغة و معنی.

۲ـ شرح الکتاب رقم واحد و ثلاثین الذی یحتوی قسماً منه علی ثلاثین مثلاً بالامثال و الحکم المعروفة.

۳ـ الاستشهاد بالاشعار السائرة ذات المعانی المعروفة و المشهورة.

۴ـ الاشارة الی اصل الامثال الصادرة و بیان جذورها التاریخیة و المناسبة التی قیلت فیها.

۵ـ الاشارة الی أن بعض کلام الامام (ع) یجری مجری الامثال (الاستعارة التمثیلیة هو المصطلح عند البلاغیین علی الکلام الذی یجری مجری الامثال، قال صاحب جواهر البلاغة ص ۳۳۳، سمیت بذلک لعظم شأنها و کأن لیس فی غیرها تمثیل اصلاً، و هی من أبلغ الاستعارة و هی غرض البلغاء و إذا فشت و شاعت الاستعارة التمثیلیة و کثر استعمالها تکون مثلاً لایغیر مطلقاً).

۶ـ الاشارة الی بعض هذه الامثال التی استخدمها الامام (ع) بإنها مقتبسة من القرآن الکریم.

۷ـ الاشارة الی بعض الحقائق التاریخیة و الاعتبار بها کما جاء فی المثل (۳۹).

و هذه بعض النماذج

۱ـ اتق (اتخذنا الکلمة الاولی من الجملة منطلقا و قاعدة): قوله (ع): «اتق اللّه بعض التقی و إن قلّ، واجعل بینک و بین اللّه ستراً وان رقّ» ح: ۲۴۲. یقال فی المثل: ما لایدرک کله لایترک کلّه ... و فی امثال العامة: اجعل بینک و بین اللّه روزنة، والروزنة لفظة صحیحة معربة، أی لاتجعل ما بینک و بینه مسدوداًمظلماً بالکلیة.

۲ـ احمل، قوله(ع): احمل نفسک من اخیک عند صرمه علی الصلة، وعند

صدوده علی اللطف و المقاربة (ر: ۳۱) اما اللطف بفتح اللام و ... بالاسم من ألطفه بكذا أی بره به وجاءتنا نطفة من غلان أی هدية، والملاطفة: (المبارة....)

هذا و ان للبحث صلة فمن اراد فليراجع كتابنا (الآراء النقدية و الأدبية و الشعرية لابن أبی الحديد). والحمد الله رب العالمين.

الهدف:

هوالوقوف علی رأی ابن ابی الحديد فی الامثال من خلال (شرح نهج البلاغة).

الجديد فی البحث:

۱ـ المقايسه فی بيان انواع الامثال بين ابن ابی الحديد و الآخرين.

۲ـ ذكر الدامغانی للمثل اربعة معانی و جاءت عندی لهامعنی خامس ألا و هو (الضِعف).

۳ـ الاشارة الی وجود نوع خاص من الامثال يتداوله أرباب الفنون فقط.

۴ـ و هناک موضوعات أُخری سيقف القارئ عندها.

هدف تحقيق:

آشنايی با نظرات ابن ابی‌الحديد در ضرب‌المثلها، از كتاب شرح نهج‌البلاغه

نوآوری تحقيق:

۱ـ مقايسه كلی بين نظرات ابن ابی الحديد و ديگران دربارهٔ انواع ضرب‌المثلها.

۲ـ فقيه دامغانی در كتابش چهار معنی برای مثال آورده، كه به نظر نگارنده معنی پنجمی هم دارد و آن به معنای (دوبرابر) آمده است.

۳ـ بنظر نگارنده اين مقاله ضرب‌المثل خاصی در ميان اربابان هر هنری و علمی وجود دارد.

۴ـ وجود مطالب ديگری كه خواننده بزودی به آنها آگاه خواهد شد.

المصادر

اسم الکتاب	اسم المؤلف	محل الطبع	المطبعة	سنةالطبع	الناشر
الاتقان	جلال الدین السیوطی	بیروت	-	-	دارالمعرفة
اسرار البلاغة	عبدالقاهرالجرجانی	بیروت	-	۱۳۹۸ ه	دارالمعرفة
تاج العروس	الزبیدی	مصر	الخیریة	۱۳۰۶ ه	داراحیاءالتراث العربی
جواهر الادب	احمدالهاشمی	بیروت	-	-	مؤسسة المعارف
شرح نهج‌البلاغة	لابن أبی‌الحدید	بیروت	-	-	داراحیاءالتراث‌العربی
العقد الفرید	لابن عبدربه	بیروت	-	۱۴۰۷ ه	دارالکتب العلمیة
العمدة	لابن رشیق	بیروت	-	۱۹۷۲ ه	دارالجلیل
نهایةالارب	النویری	القاهره	کوستاتسوماس	-	وزارةالارشاد القومی المصری
قاموس القرآن	الفقیه الدامغانی	بیروت	-	۱۹۷۰ م	دارالعلم للملایین
الفروق‌اللغویة	لابن هلال العسکری	قم	-	۱۳۵۳ ش	مکتبة بصیرتی
کلیلة و دمنة	عبدالله بن المقفع	بیروت	-	-	دارالکتب العلمیة
لسان العراب	لابن منظور	بیروت	تکنویرس الحدیثة	۱۹۷۰ م	دارلسان العرب
مجمع‌البحرین	فخرالدین‌الطریحی	طهران	-	-	کتابفروشی مصطفوی
المعجم المفهرس لالفاظ القران	محمد فؤادعبدالباقی	طهران	-	۱۳۶۴ ش	معارف اسلامی
المفردات	راغب الاصفهانی	طهران	-	-	المکتبة المرتضویة
نهج‌البلاغه	صبحی الصالح	بیروت	-	۱۳۸۷ م	-